

الثلاثاء 10 ذو الحجة 1431 هـ الموافق لـ:

المباب الثَّانِي عَشْر: (المتَّرييب في شرب ماء زمزم، وما جاء في فضلِه).

• شرح المتبويب :

فقبل بيان فضل ماء زمزم لنا بد أن نعلم المراحل التي مرت بها هذه العين المباركة:

- البداية:

فأول ما خلق الله هذه العين كان يوم ترك إبراهيم عليه السلام هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام، كما في المصححين، فقالت:

يَا إِبْرَاهِيمُ! أَيَنْ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مُرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا. فَقَالَتْ لَهُ:

أَلَلَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إِذْنُ لَا يُضَيِّعُنَا.

ثُمَّ رَجَعَتْ، فَإِنْ طَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ أَلْمَحْرَمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ { إبراهيم: من الآية 37}.

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرِبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي الْمَسْقَاءِ عَطِشَتْ، وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى- أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ- فَإِنْ طَلَقَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ.

فَوَجَدَتْ الْمَصْفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ لِيَهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِي تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا.

فَهَبَطَتْ مِنَ الْمَصْفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِي، رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ، حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِي.

ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «: فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا. »

فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ:

صَهْ! تُرِيدُنَ فُسْهًا. ثُمَّ تَسْمَعُ فُسْمَعْتَ أَيُّضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتُ إِنْ كَانَ عَنْدَكَ غَوَاثٌ.

فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ إِي فِي رِوَايَةٍ: فَإِذَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ.

فَجَعَلَتْ تَحْوِضُهُ، وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهِيَ فُورٌ بِعَدَمَاتِ غَرْفٍ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْلَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا.»

قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ:

«لَا تَخَافُوا الْمَضْيَعَةَ، فَإِنَّ هَذَا نَبِيَّتُ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ.»

قال ابن الجوزي رحمه الله:

" كان ظهور زمزم نعمة من الله محضة بغير عمل عامل، فلمّا خالطها تحويط هاجر، داخلها كسب البشر فقصرت ."

• ثم كيف اختفى أثر هذه العين ؟

يُكمل ابن عباس رضي الله عنه قائلا:

" .. حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرُومٍ .. فَانْزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَأَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا [وهو الذي يحوم على الماء].

فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ ! لَعَدَدْنَا بِهِذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ.

فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ أَيْ رَسُولًا، فَإِذَا هُم بِالْمَاءِ ! فَارْجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا، وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذِنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عَنْكَ. فَقَالَتْ: نَعَمْ وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ.

وعاشت هاجر مع ولدها إسماعيل عليه السلام، وتزوج منهم، ومَرَّتِ الْقُرُونُ، حَتَّى رَحِلَتْ جُرُومٌ مِنْ تِلْكَ الْمَبْقَعَةِ الْمُبَارَكَةِ، فَقَامَ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مَضَاضِ الْجَرَهْمِيِّ وَرَدَمَ عَيْنَ زَمْزَمَ، فَمَا عَادَ الْعَرَبُ يَعْرِضُونَ عَنْهَا إِلَّا اسْمَهَا، تَعْظُمُونَهَا لِأَنَّهَا مِنْ شَعَائِرِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

• عودٌ على بدء:

ثم أراد الله عز وجل أن يجعل حضر بئر زمزم على يد عبد المطّلب جدّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

وكان ذلك الحدث فيه بيانٌ لفضل هذه العين المباركة، فإنّها كانت من الأمور التي جعلت العرب تلتفت وجوها إلى بيت عبد

صلّى الله عليه وسلّم، كان المشيّء من معدنه لنا
لذلك رواها .

المطّلب، حتّى إذا بُعث النبيّ
يُستغرب
المبيّهي وغيره في " دلائل النبوة " .

ذكر المصنّف رحمه الله في هذا الباب جملةً من فضائل ماء زمزم، منها:

أ []، أنّها خير مياه الأرض.

ب []، وأنّه شفاء سقم، وطعام طعم.

ت []، وأنّه لما شرب له.

· الحديث الأوّل:

1161- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ، فِيهِ طَعَامُ الطُّعْمِ، وَشِفَاءُ السُّقْمِ، وَشَرُّ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ بَوَادِي) بَرَهُوتَ (بِقُبَّةِ
ب-
ضَرَمَوْتَ
)،
لَكَرَجَلِ الْمَجْرَادِ
'
تُصْبِحُ تَنْدَفِقُ
'
وَتُمْسِي لَابِلَالٍ فِيهِ
)).

إرواه المطبّراني في " الكبير " ورواته ثقات، وابن حبان في " صحيحه " .

· شرح الحديث:

- قوله (:خَيْرُ ماءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ماءُ زَمْزَمٍ):

يكفي في الدلالة على فضل ماء زمزم وأنّها خير مياه الأرض: ما جاء في المصحيحين في حادثة شقّ الصّدْر الثّانية ليلة الإسراء، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

" لَيْلَةَ أُسْرِي بَرَسَ بَرَسٌ عَلَى الْمَلِكِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ ... فَالَمْ يَكِلْ لَهُمْ حَتَّى اجْتَمَعُوا فِي
فَوْضِ عَوْهٍ عِنْدَ بَيْتِ
مَنْ هَمَّ جَبْرِيلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَشَقَّ جَبْرِيلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ
مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ
'
حَتَّى فَرَّغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ
فَغَسَلَهُ
مِنْ مَاءِ زَمْزَمٍ
بِيَدِهِ
".

- قوله (: فِيهِ طَعَامُ الْمَطْعَمِ) : سيأتي بيان معناه في شرح الحديث الثّاني.

- قوله (: بَرْمُوتٌ) : ويقال (بَرْمُوتٌ) ، كما قال ابن دريد.

وهو وادٍ بحضرموت باليمن، كما جاء مصرّحاً به في هذا الحديث، وذكر ياقوت الحمويّ في "معجم البلدان" (405/1) أنّه قيل إنّها بئر، وقيل إنّها البلد الذي فيه البئر.

وفي "لسان العرب": هي بئر عميقة بحضرموت لا يستطيع أحد بلوغ قعرها ". اهـ.

وقد كثر كلام النَّاس حول هذه المَبْثَر، حتَّى قيل فيها خرافات، ورُوِّيت فيها موضوعات، ممَّا جعل الحافظ المقيسراني رحمه الله ذكر هذا الحديث في " ذخيرة الحفاظ ")

3/2816

).

من هذه الأخبار المكذوبة ما يُنسب إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: «إِنَّ فِيهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ!»

ومنها ما يُنسب إلى ابن عبَّاس رضي الله عنه: " إِنَّ أرواح المؤمنين بالجابية من أرض الشام، وأرواح الكفار ببرهوت من حضرموت " !

ومنها ما يُنسب إلى عليِّ رضي الله عنه أنَّه قال: " أبغض بقعة في الأرض إلى الله عز وجل وادي برهوت بحضرموت، فيه أرواح الكفار، وفيه ماؤها أسود منتن، تأوي إليه أرواح الكفار " ! وقد ذكر هذا الأثر عبد الرزاق في "المصنف")

5

/

116

).

ومنها ما نسبته الديلمي في " مسند الفردوس " (1/418) إلى أنس بن مالك رضي الله عنه.

ومنها حكايات تُحكى عن النَّاس، وتناقلها بعضهم عن بعض، فقد حكى الأصبغي عن رجل من حضرموت قال: إنَّنا نجد من ذاحية برهوت الرائحة المنتنة المظيعة جداً، فأنبئنا بعد ذلك أنَّ عظيمًا من عظماء الكفار مات، فنرى أنَّ تلك الرائحة منه.

ومنها ما يروونه عن سفيان بن عيينة: أخبرني رجل أنَّه أَمسى ببرهوت، قال: فسمعت منه أصواتَ الحاجِّ وضجيجهم.

ومنها ما ذكر أبان بن تغلب أنَّ رجلاً آواه المبيت إلى وادي برهوت، قال: فكنت أسمع طول اللَّيْلِ: (يا دومة ! يا دومة ! فذكرت ذلك لرجل من أهل الكتاب، فقال: إنَّ الملك الذي على أرواح الكفار يقال له (دومة) " !!

وقد ذكرها ابن كثير في تفسير سورة " الأحقاف " :

وقد ذكره ابن تيمية رحمه الله ناسبا إليه إلى أبي سعيد الخزاز في (4/221).

وذكرها ابن المقيّم في "الروح" (106-107) فقال:

"وأما قول من قال: إن أرواح المؤمنين بالجابية، وأرواح الكفار بحضرموت ببرهوت، فقال أبو محمد بن حزم: هذا من قول الرافضة.

وليس كما قال، بل قد قاله جماعة من أهل السنة. قال أبو عبد الله بن منده: وروي عن جماعة من الصحابة والتابعين أن أرواح المؤمنين بالجابية... ثم ساق بسند وإله عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: (إن أرواح المؤمنين تجتمع بالجابية، وإن أرواح الكفار تجتمع في سبخة بحضرموت يقال لها برهوت...)

[ثم ساق من طريق آخر وإله أيضا] أن كعبا رأى عبد الله بن عمرو رضي الله عنه وقد تكالب الناس عليه يسألونه، فقال لرجل: سله أين أرواح المؤمنين، وأرواح الكفار؟ فسأله، فقال: "أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببرهوت".

ولما شك أن هذا كله ليس عليه دليل صحيح، وإن صحّت عن الصحابة فيكون ممّا تلقّوه عن أهل الكتاب. وما حملهم على ذلك كلّ إلّا كون حضرموت هي أرض عاد بالأحقاف.

مع ملاحظة أنه ما رواه أحد من أصحاب الكتب المعتمدة إلّا ابن حبان في "صحيحه" (7/283) فقال:

"ذكر الأخبار عمّا يُعمل بروح المؤمن والكافر إذا قبضا" فساق بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم حديث قبض روح المؤمن المعروف، ثم قال: قال قتادة: وحدثني رجل عن سعيد بن المسيّب عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: "أرواح المؤمنين تجتمع بالجابية، وأرواح الكفار تجتمع ببرهوت: سبخة بحضرموت"، والمنظر في سند الدأثر لا يشك في ضعفه.

- قوله صلى الله عليه وسلم: «: كرجل الجراد»:

رواية المفاكهي في "أخبار مكة" (41/2) أوضح، إذ قال: "عَلَيْهِ كَرِجُ الْمَجْرَادِ مِنَ الْمَوَامِّ، يُصْبِحُ يَتَدَفَّقُ، وَيُمْسِي نَابِلًا فِيهِ."

أي: عليّ مائها هوامّ كثيرة، وتمثيله برجل الجراد أسلوب تعرفه العرب، ومنه ما رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ:))

بَيْنَمَا أَنَا فِي

عَلَيْهِ الْمَسْلَمِ

يَغْتَسِلُ عُرِيَانًا

،
خَرَعَلَيْهِ رَجُلٌ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ

،
فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ

،
فَنَادَاهُ رَبُّهُ

،
يَا أَيُّوبُ

!

أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيكَ عَمَّا تَرَى

؛

قَالَ

،

بَلَى يَا رَبِّ

،
وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ

)).

-وقوله صَلَّى الله عليه وسلم): " نَابِلًا فِيهِ ":

قال في " لسان العرب ": " والمَبْلَلُ: الماء، والبَلَلُ .. ويقال: ما في سقائك بَلَل، أي: ماء، وكل ما يبَلُّ به الحلق من الماء والمَلْبَن بَلَل ".

-تنبيه: قول المصنّف رحمه الله: " ورواه ابن حبان "، قال الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه:

" قلت: لم أراه في " الموارد "، ولما في " الإحسان "، ولما عزاه إليه السيوطي في " جامعيه "، نعم، عزاه إليه المهيتمي في " المجمع "، وأظنّه

تبع المؤلّف، وكنت استظهرت في "المصّحيّة" (1056) أنّّه فاتّه أن يورده في "الموارد"، فلمّا طبع "الإحسان"، ولم نجدّه فيه غلب على الظنّ أنّ العزو لصحيح ابن حبّان وهم، والله أعلم.

والشّاهد من الحديث هو فضل ماء زمزم، وهو أنّها خير ماء على وجه الأرض.

والله أعلم.